الخاتمة

فى التاريخ

« سيذهب كل منا فى طريقه ، أنا فى طريق لأموت ، وأنتم فى طريقكم لتعيشوا ، والله يعلم أى الفريقين أهدى سبيلا »
سقراط

أبو حنيفة

لم تكن حياة أبى حنيفة وإن طالت إلا معركة واحدة سلخ فيها الفكر الإنسانى سبعين عامًا بين التحضير والتدبير والملحمة ، ولم تكن لبطلها غاية ولا وسيلة إلا الحرية والتسامح ، فى كل أطوارها .

والعالم الذى يقوم على التسامح هو وحده العالم الجدير بالحياة ، والوجود المنبعث من نفوس حرة هو وحده السبيل إلى عمارة الدنيا بالنشاط الفكرى والرخاء المادى .

وبعد أن ذاعت نظريات أبى حنيفة فى الإيمان وفى الحرية وفى الاجتهاد بالرأى، استقل بإمامة ثلثى الأمة عن سائر المذاهب والأفراق ، ورقى سلم المجد إلى أسمى ذرواته ، لينزل فى التاريخ منزلة الإمام الأعظم لأهل الإسلام .

ولما ختم حياته فى سبيل الحرية كان كالذى كشف الغيب فوضع نفسه حيث وضعته الأجيال ، وكان كالمؤلف يضع على مؤلفه بعد الفراغ منه عنوانه .

فهل صحيح ما قيل من أن حبسه كان لسبب سياسى هو تشيعه لمحمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب المسمى بالنفس الزكية أو لأخيه إبراهيم ؟ أو أنه لم يحبس إلا من أجل القضاء .. ؟

إن من المسلم أن محمداً وأخاه إبراهيم قتلا فى سنة ١٤٥ حين خرج محمد بالمدينة على أبى جعفر وبعد أن خرج عليه إبراهيم فى البصرة .

وإذا كان من المسلم أن الأجل وافى أبا حنيفة عقب حبسه بأيام فى سنة ١٥٠ فإنه يكون عجيبًا أن يتشيع أبو حنيفة للموتى بعد إذ ماتوا بخمس سنين . وأعجب منه أن يرتاع رجل شديد البأس ، قوى المراس ، كأبى جعفر ، من العطف على ذكريات الموتى ، لو جاز أن يتشيع الناس لهم ذلك التشيع الذى يخرج الفقيه الأعظم عن حكمة السبعين عامًا !

لقد كان أبو حنيفة إذا سئل عن على ومعاوية وقتلى صفين أو خلافات الشيعة والأمويين يقول : « أخاف الله أن أقدم على شىء يسألنى الله عنه . وإذا أقامنى

يوم القيامة بين يديه لا يسألنى عن شىء من أمورهم : يسألنى عما كلفنى : والاشتغال بذلك أولى » .

وكان المنصور من الناحية الأخرى واسع الصدر بعيد النظر فى آراء خصومه ، وأشياع خصومه . سمع أن عمرو بن عبيد زعيم المعتزلة كاتب محمد بن عبد الله فسأله فيما سمع . فقال له عمرو : إنه يعرف رأيه فى السيف — وهو أنه لا يرى الاستعانة بالقوة لتأييد أغراضه — فطلب إليه المنصور أن يحلف فقال : « لئن كذبتك تقية لأحلفن لك تقية » فارتضى منه ذلك .. وقنع من زعيم المعتزلة بما كان حريا أن يقنع به من زعيم الفقهاء لو ثبت شىء ضده . أو قامت الشبهة فيه عنده .

ولئن قال نابوليون فى أعقاب (مسكوفا) « لا عدو بعد النصر » أو أمر مملوكه « رستم » بسقيا الجريح الروسى من الزاد الإمبراطورى ، فإن المنصور كان يصنع صنيعه فى بعض من استيقن تشيعهم لمحمد و إبراهيم .

كان المفضل الضبى (صاحب المفضليات) من أنصار إبراهيم إذ خرج على المنصور . فلما أظفره الله بإبراهيم ، وأمكنه من المفضل ، عفا المنصور عما سلف واستخلصه لنفسه وقربه نجياً ، فصار نجماً فى البلاط ، وألقى إليه ولده المهدى يؤدبه ويرعاه .

وكان المنصور فتى جلداً لا تروعه مدلهمات الخطوب . يخرج عند الثورة على دابة يحارب الجموع وحده . فكيف ينقم على المقهورين أو على الموتى بعد إذ ماتوا وتصرمت على وفاتهم السنون ، وبعد أن مكن لدولته فبنى مدينته . وملأ خزائنه بالمال ودواوينه بالرجال .

ولم يتم بنيان بغداد إلا فى سنة ١٤٩ و إن كان المنصور قد انتقل إليها سنة ١٤٦ . بل قيل إنه كلف أبا حنيفة بعد ما فى سورها من آجر : وضربوا مثلا على ذكاء أبى حنيفة ابتكاره طريقة الحساب بعدّ ما فى الذراع من لبنات ومقاس ما فى السور من أذرع .

وقيل إن شقاقاً شجر بين المنصور و إحدى حليلاته فطلبت العدل بينها وبين سائرهن . فسألها المنصور عمن ترضى للحكومة فى هذه الخصومة . قالت بأبى

حنيفة . فأحضر . وجلست تلك من وراء الستر . قال أبو حنيفة : فليتكلم أمير المؤمنين . قال أبو جعفر : إنها تخاصمنى ، كم يحل للرجل أن يتزوج من النساء ليجمع بينهن ؟ قال أبو حنيفة : أربع . قال أبو جعفر : وكم يحل من الإماء ؟ قال : ما شاء ليس له من عدد . قال أبو جعفر : اسمعى يا هذه . قالت : قد سمعت . فانطلق إمام أهل الرأى يقول : « يا أمير المؤمنين . أحل الله ذلك لأهل العدل . فمن لم يعدل أو خاف ألا يعدل فينبغى ألا يجاوز الواحدة . قال الله تعالى : ﴿فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة﴾ فينبغى أن نتأدب بأدب الله فنتعظ بمواعظه .. » وسكت أمير المؤمنين وطال سكوته ، وخرج أبو حنيفة . فلما بلغ منزله جاءه غلام بهدية من السيدة التى أدب من أجلها أمير المؤمنين ذلك الأدب : خمسين ألفاً ، وجارية ، ودابة .

فقال للغلام : « أقرئها سلامى وقل لها إنما ناضلت عن دينى » وما مد يده إلى شىء حتى حمل من بين يديه .

دخل على أبى جعفر يوماً وإلى جوار أبى جعفر الربيع بن يونس . وفى رواية أخرى محمد بن إسحق صاحب المغازى . وكان الربيع ينفس على أبى حنيفة مكانته ، فابتدره بقوله : يا أمير المؤمنين ، هذا أبو حنيفة يخالف جدك فى الاستثناء المنفصل « فلقد كان جده عبد الله بن عباس يقول : إذا حلف الحالف ثم استثنى بعد ذلك بيوم أو يومين إلى سنة فى قول ، وأبدا فى قول آخر ، جاز الاستثناء من اليمين ، فى حين يرى أبو حنيفة أن الاستثناء لا يجوز إلا متصلا باليمين ، والاستثناء عنده لا يصح إذا صدر القول باتا فى المجلس) .

فلم يحزن أبا حنيفة قوله ، بل واجه العاصفة بالأعصار ، وقذف فى وجه الربيع بآية من آياته . قال : يا أمير المؤمنين إن الربيع يزعم أنه ليس لك فى رقاب جندك بيعة ! قال أبو جعفر : وكيف ؟ قال أبو حنيفة : « يحلفون لك ثم يرجعون إلى منازلهم فيستثنون فتبطل أيمانهم ! ! » وبهت الذى أثار الثائرة لأن أبا جعفر كان يلتمس البيعة من كل الأقطار .

وضحك أبو جعفر وقال : يا ربيع لا تتعرض لأبى حنيفة .

بلى . ولو أبيح الاستثناء المنفصل لم تكد تقع يمين . إذ كان الناس يستثنون بدلا من الكفارات ويستثنون حتى لا تطلق نساؤهم .

فى تلك المقابلة أو فى نظائرها دخل أبو حنيفة على أبى جعفر : فوجد أبا العباس

الطوسى — وكان سيئ الرأى فيه — فقال لمن حوله فى صوت خفيض : « اليوم أقتل أبا حنيفة » . وأقبل عليه يقول : يا أبا حنيفة ، إن أمير المؤمنين يدعو الرجل فيأمره بضرب عنق الرجل . لا يدرى ما هو . أيسعه أن يضرب عنقه ؟فأجابه الشيخ بإحدى روائع القياس . قال : « أمير المؤمنين يأمر بالحق أو بالباطل » ؟ قال الطوسى : بالحق . قال : « أنفذ الحق حيث كان ولا تسأل عنه » والتفت إلى من قرب منه وقال : « أراد أن يوثقنى فربطته » .

وأى رباط ! لقد وضع له الجواب من سؤاله . والسؤال عن وجه الحق لا يصدر إلا من رجل لا يعرف أن الخليفة يأمر بالحق أم بالباطل . وبهذا سلم المسئول وانكشف السائل .

هذه الأنباء وأمثالها تدلنا على أن أبا حنيفة كان يدخل على المنصور بالهاشمية أو بمدينة السلام ، إماماً رفيع المقام ، مسموع الكلام . قبل أن يدخلها فى طريقه إلى السجن . وتدل على أن غضب الخليفة كان غضب الفجاءة لأسباب جاءت كذلك فجاءة .

* * *

وفى الحق إن مدينة المنصور كانت كل شىء للمنصور . وكان أبو حنيفة فى أخريات أيامه يحمل على مفرقه عدة من التيجان . فكيف تخلو المدينة الخالدة من الرجل الذى كتب له الخلود .

كيف لا تزدهى به مثلما تزدهى به الكوفة . وكيف تمتنع هذه التيجان التى تكلل هامة الإمام الأعظم عن أن تنتظم فى جواهر التاج الأكبر ! لقد كان عليه أن يقبل القضاء فى بغداد وأن يحنى رأسه للخليفة وإلا فإن الرفض ذنب عند أبى جعفر لا يغفر .

كان أبو جعفر يحس إحساس (تيزيه) إذ بنى أثينا ، وإحساس رومولوس إذ شاد روما . والذى يشيد مدينة يعشقها فيهواها كهوى الغانيات بل أشد . لأنه يخلد فيها نفسه وأولاده ومفاخره وآراءه وحضارة جيله . وفى سبيل هذا التخليد هانت على البنائين كل التضحيات. فهم لا ينشئون مدائن فحسب وإنما ينشئون مدنيات ودنى كاملة ، أين منها الصروح الممردة والآثار .

ولقد كلف أبو جعفر بالبناء حتى ليعتبر أبا المدائن بحق . بنى بغداد للدنيا وأحاطها بالقطائع ، وبنى الرصافة لولده المهدى، وبنى الكرخ ، وكلف المهدى ببناء الرافقة بل إن أبا جعفر هو الذى بنى الدولة العباسية نفسها .

وانتقلت نزعة البناء إلى الوزراء . قال يحيى بن خالد لولديه الفضل وجعفر : « لا شىء أبقى ذكراً من البناء فاتخذوا منه مايبقى لكم ذكراً » فاتخذ كل منهما لنفسه قصراً ، وقيل إن جعفر – فى عهد الرشيد – أنفق على قصره عشرين مليون درهم غير الأثاث .. !

ومنذ ألفى عام قبل المنصور تنازل « تيزيه » عن ملكه لينشئ « أثينا » . ومنذ ثلاثة عشر قرنًا قبله كان « رومولوس » لا يقتل الأعداء ولا يسبى النساء وإنما يأمرهم بهدم قراهم ودساكرهم وأن يقدموا لتعمير « روما » . وكان « تيزيه » أول من تنازل عن الملك لخير الشعب كما قال سقراط . وصار « رومولوس » فيما بعد إلهًا يخر له الرومان سجداً إلى الأذقان !

وكان سلطان أبى جعفر أعظم من سلطان تيزيه ورومولوس معًا . فيجب أن يعمر بغداد وفق ما يهوى ، والويل لمن يقف فى الطريق .

فحبس أبى حنيفة إنما كان فى سبيل أن يتولى لأبى جعفر قضاء بغداد وأن يصدع بما يؤمر : ولا يرد على الذهن أن يكون ذلك السبب اختراعًا . لأن بغداد كانت قد تم بناؤها . ولأن من السائغ أن يرى أبو جعفر أن الولاية على قضائها لم تك تصلح إلا له . وليس تشييد مدينة السلام بحادث عادى . إنما هو الحادث الأعظم الجوير بدعوة الإمام الأعظم : والخليق لدى المستبد المطلق السلطان بأن ينزل به ما أنزل من العقاب فى نفس الزمان ونفس المكان .

ولو كان الغضب من أجل محمد وإبراهيم لأحدث فى أبى حنيفة آثاره أيام أحدث فيهما آثاره . فلم يكن الإمام الأعظم نكرة فينسى خمس سنوات أو عشر سنوات بعد أن نكل المنصور بالأخوين الشهيدين وبأبيهما وبأهليهما :

لقد بدأ المنصور البحث عن محمد وإبراهيم من سنة ١٤٠ ولما لم يعثر عليهما حج سنة ١٤٠ وطالب بهما أباهما فأنكر معرفته لمقرهما فحبسه وصادر أمواله ،

فكيف ينام عن أبى حنيفة كل ذلك الزمان ، وليس من طبيعة أبى جعفر أن ينام .

كان مالك فى أوج مجده العلمى والدينى فى جوار النبى ، إذ قيل إنه أفتى بأن بيعة الناس للمنصور كانت مكرهة أى غير ملزمة للناس ، ممالأة منه لمحمد بن عبد الله عند خروجه ، أو قيل إنه سئل عن البغاة ، أيجوز قتالهم ؟ فقال : « إن خرجوا على مثل عمر بن عبد العزيز » ، فقيل فإن لم يكن مثله ؟ فأجاب : « دعهم ينتقم الله من ظالم بظالم ثم ينتقم من كليهما » ، فلم يحل ذلك المجد بين عامل أبى جعفر على المدينة وبين جلد مالك .

ولئن راجع أبو جعفر واليه فيما صنع لقد كان ذلك خوفاً من الله لا خوفاً من الناس . ذلك بأن أبا جعفر كان قد مكن للدولة فلم يكن يخاف ولم يكن يخفى . والذى يخفى هو الذى يخاف ، كالذى يخاف هو الذى يخفى .

فلو أخذ المنصور على أبى حنيفة مأخذاً لناقشه الحساب من فوره جهرة ، مثلما أخذ محمداً وإبراهيم جهرة ، وحبس أباهما فى وضح النهار .

ولم يك أبو جعفر ليأمن جانب الكوفة ، فيذر الإمام الأعظم فى مسجدها خمس سنوات طويلات يسكب فى دروسه السخط المدمر — لو صح ما يقولون — وأبو جعفر أعلم الناس بمبلغ ما أحدثته الدعاية على يديه ويدى أخويه أبى العباس وإبراهيم الإمام وأشياعهم فى الكوفة نفسها وفى خراسان وفى سائر البقاع .

وإذا روى عن تلميذ من تلاميذه أنه اعترض على أستاذه لخوضه فى ذكر محمد أو إبراهيم فإن ذلك لم يتأيد من مصادر متعددة وهو لا يثبت على المقارنة التاريخية للملابسات التى ألمنا بها فى إيجاز .

وأبو حنيفة هو الإمام الأعظم لأهل السنة . أما الشيعة فذات فقه خاص وأحاديث ومعتقدات خاصة ، تضمنتها مؤلفات ضخمة دون منها الكثير زيد بن على وجعفر الصادق وغيرهما . ولم يعرف عن أبى حنيفة أنه روج لفقه الشيعة ، بل لم ينعكس على مرآته الصافية آثار فكر شيعى .

ولئن كان يعطف على الضحايا من أهل بيت النبى ، إن أفئدة الأمة جمعاء تهوى إليهم . لقد كان « صاحب الأغانى » حفيداً لمروان آخر خلفاء بنى أمية : ومع ذلك كان شيعياً .. !

وليس معقولا أن يكون أبو حنيفة شيعيا بفعله أو قوله أو بهواه، دون أن ينكشف الخبيء من أمره ، أو ينعكس أثره على عمله ، فى معاركه الخالدة مع الخوارج ومع المحدثين ومع الولاة ومع الخليفة وسواهم .

ولما خاصم ابن هبيرة كان خصامهما حريًّا بأن يكشف أستار غيبه ، بل إن بنى العباس كانوا مع الشيعة حتى بويع لأبى العباس فى سنة ١٣٢ ، فهم العليمون حقاً بأشياع الخفاء .

فكيف يكون من هؤلاء ، ولا يأخذ السفاح أو المنصور عليه شيئًا مما أخذاه على زعماء أهل البيت فى بضعة عشر ربيعًا كانت كلها النكال للشيعة .

وإذا صح ما روى من صلاة المنصور على قبره بعد وفاته، فإن المنصور لا يصلى على من أراد اقتلاع دولته من الأعماق .

لقد رفض أبو حنيفة القضاء لبنى أمية كما رفضه لبنى العباس . ولو كان يدفعه الهوى والغضب لكان هواه مع الدولة المقبلة من الشرق من بلاد أجداده ، وبخاصة وقد ناله من أذى العهد المصرم ما كان قمينًا بأن يصل أسبابه بالنظام الجديد ، لو كان أمر امتناعه راجعًا إلى الهوى ، أو إلى الأذى ، أو إلى النظام .

• • •

إنما عافت نفس أبى حنيفة القضاء لأبى جعفر لأنه ليس القاضى المحسوب على الحكام والحاشية . وليس هذا القاضى إلا ألعبانا يعرض على النظارة فنونًا من الظلم على أنها العدل ، وما هى فى الحق إلا نتاج العبودية والمهانة والابتذال .

والقضاء المسخر كالفكر المشترى والقلم الأجير أتعس ما فى الأسواق من سلع وعروض .

والرأى هو العرض : يبيع عرضه من يبيع رأيه . ذاك لشهوات الحس واللمس وهذا لشهوات الفكر والنفس ، بل إن من يبيع رأيه يبيع جسده ، فما الصمت أو البيان ، أو اللسان أو البنان ، إلا أجزاء من جسم الإنسان .

فى بيوع الفكر يغطى المتبايعان عقود الاسترقاق بشتى مظاهر الاستقلال والاحترام ، ويغلو الفقيه العبد كل الغلواء فى دعوى الإباء وحرية الآراء ، وبقدر ما يتطلب

من الغطاء يحدث من الضوضاء . وكلما ذلت النفس استحكم مركب النقص . فكبرت الدعوى وكثرت الأستار .

ما أتعس هذا الفقيه لو قدر لك أن تكشف الغطاء الجسدى عن تفكيره فى هواه أو هوى مولاه .

هنالك لا تجد الأشياء ولكن ظلال الأشياء ، ولا تسمع الأصوات ولكن تسمع الأصداء ، وتجد حساباً لما ليس فى الحساب . المعلوم يتحكم فيه المجهول ، والعلل ينتجها المعلول ! وأسماء تعود المظلومون أن يسمعوها . كالمصلحة العامة والنظام وما هى إلا نهمة الدنيا وهماهم العيش وفساد الضمير .

هنالك تشهد الفقيه العبد فى شوهته ودمامته وانحلال شخصيته كالممثل الهزيل فى أعقاب الرواية هدنه الذبذبة الدائمة وقبحه الاصطناع . فأمسى مسخاً شائهاً ترى دمامته كل الأنظار وهو لا يكاد يراها .

هنالك الأرضى يحارب السماوى وتسمى بغير أسمائها الأشياء .

هنالك تسيطر الأفكار التجارية ونزعات السوقة ، ويتحالف أهل الرذيلة على أهل الفضيلة ، ويأخذك العجب وتتساءل : لماذا يتواصل أهل الرذيلة فى حين أن ذوى الفضل ، فى أبراجهم ، لا يتواصلون .

هناك النفوس الرديئة تحاول أن تطرد النفوس الجيدة . ويتعامل رجال الحكم ورجال العلم بقانون العرض والطلب ، والفضة والذهب ، والمصلحة فى شتى صورها وعروضها ، كالوظيفة والرضاء ، والحياة الوادعة الساجية . وما هى إلا رشى مستورة من رغبة ورهبة أو منظورة ذات لمعان ورنين .

رووا أن قاضياً من قضاة قرطبة كان كثير الاتباع ليحيى بن يحيى لا يعدل عن رأيه ، فوقعت قضية تفرد فيها يحيى وخالف جميع أهل الشورى ، فأرجأ القاضى القضاء فيها حياء من جماعتهم . وردفته قضية أخرى كتب بها إلى يحيى فصرف يحيى رسوله وقال له : لا أشير عليه بشىء . فلما انصرف إليه رسوله وعرفه بقوله ركب من فوره إلى يحيى وقال له : لم أظن أن الأمر وقع منك هذا الموقع وسوف أقضى له غدا إن شاء الله . فقال له يحيى : « وتفعل ذلك صدقاً ؟ » قال : نعم قال له : « فالآن هيجت غيظى . فإنى ظننت إذ خالفنى أصحابى أنك توقفت مستخيرا لله ، متخيراً فى الأقوال . فأما إذ صرت تتبع الهوى وتقضى برضى مخلوق

ضعيف فلا خير فيما تجئ به ولا فىّ إن رضيته منك ، فاستعف من ذلك، وإلا رفعت فى عزلك » .

فرفع يستعفى فعزل .

وهكذا طب الفقيه العظيم بدوائه قاضيًا ممن عناهم« فولتير » بقوله عن قضاة « كالا »: لا تذكروني بهؤلاء القضاة الذين نصفهم قرود ونصفهم قضاة ،بل قاضيًا ممن توعدهم عمر بقوله : « ويل لديان من فى الأرض من ديان من فى السماء، يوم يلقونه إلا من أمر بالعدل وقضى بالحق ولم يقض على هوى ولا على قرابة ، ولا على رغب ولا على رهب ، وجعل كتاب الله مرآة بين عينيه » .

ليس أبو حنيفة هذا القاضى ولا ذلك الفقيه : لقد قال له الأمير يومًا لم لم تغشنا ؟ .

فقال : لأنه ليس عندى ما أخافك عليه . وإن قربتى فتنتنى وإن أقصيتنى أخزيتنى .

والذى يقول هذا للأمير هو الذى يقول للناس : « من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا وكل شدة فيها » .

لقد عاش حياته فى ذروة الفضل بين الناس وبين أقطاب الشرائع فلم يبق أمامه إلا أن يموت ميتة تليق بهذه الحياة . كان قد عمر سبعين عامًا ليست طويلة فى أقيسة الزمان ولكنها عريضة الذكر عميقة الأثر ، رفيعة المثل ، والحياة لا تقاس بالطول بقدر ما تقاس بالعرض والعمق وارتفاع المقام والفعال النابه .

ولقد قضى حياته يفرق فى الناس أرباح تجارته النافقه آلافًا وعشرات آلاف ، آخذاً نفسه بالتجرد اليومى من أعراض الدنيا فى زهادة ونسك وتعليم دونها الزهد كله والتعليم كله . والذى يسلط على نفسه هذا التجريد اليومى من من نعيم الحياة إنما يسلط عليها سياط عذاب مستمر ، لا بالكف عن اللذات ولكن بالاقتطاع من صميم الذات ، وبالحرمان الفعلى لا النظرى . حرمانًا مما فى يده

فعلا وهوله . لا مما فى يد الناس ، ولا فضل عن الناس ، لمن تنازل عما فى يد الناس ، فإنما هو يكسب لشخصه إذ يبرئ نفسه من أذى نفسه ، أما من صبر على الامتحان اليومى ، وقدر على التطهر الكلى ، فقد سما بالوجود الإنسانى عن مستواه البشرى ، وأضحى ينظر إلى الدنيا من عل ، ويدق من قرب أبواب السماء ، ومن أجل ذلك يشعر الناس بقوى تلك النفس التى سمت على أنفس الناس جميعًا .

وكما جمع العبادة والزهادة والزهادة ، قرن العلم بالعمل . فإذا رأى المنكر غيره بيده . يرى الشرطى يسخر رجلا ويذهب ليخلصه ويمتنع الشرطى ، فيبطش به ويدفع الناس الشرطى حتى يطلق الرجل .

ويرى أمير الكوفة خالد بن عبد الله القسرى يتشاغل على المنبر يوم الجمعة بقراءة كتب حتى يخشى على الصلاة فيصيح : الصلاة الصلاة . خرج الوقت ودخل آخر .

ذلك شأنه مع الشرطى ومع الأمير القسرى . وهو شأنه مع ابن هبيرة أمير العراق. وهو هو شأنه مع المنصور أمير المؤمنين . لاينحنى أمام السلطان فى أى مكان ، ولايسمح بالعيب فى ذات العلم ولا يسهم فى الظلم ، كالشيطان الأخرس ، بالسكوت .

كان قد فرغ من شئون مدرسته وفتح الباب على مصراعيه لشتى المدارس التى أظهرت فقه الإسلام ، فسلط على الفكر الإسلامى شعاعًا من النور هو حسبه . وخلف فى دنيا الفقه أسماء راسيات كأنها الأعلام ، وقضاة كالملوك ، وعلماء أثبت مجداً من الملوك . فلم يك باقيًا إلا أن يضرب الضربة الكبرى فيهوى بالمادة ، وأعراضها وأصحابها إلى الأعماق ، ويحلق بالعلم وبالفكر فى طباق السموات ، وتطير إلى الأجيال اللاحقة فكرته الخالدة على ألف جناح . ويعلم الناس بالقدوة والفداء مثل ما علمهم باللسان والقلم .

وفى كلمة واحدة يعلمهم بمماته ما علمهم بحياته .

لكنه لا يموت ميتة « ليكرج » إذ أتم رسالته فى شرائع إسبرطة ومجدها فختم حياته منتحراً بالكف عن الطعام اعتقاداً بأن الزعيم الذى لم يبق له عمل فى أمته جدير بالاختفاء .

ولقد كانت الأمة أحوج ما تكون إلى إمامها الأعظم ، ولم تشأ السماء أن تعطل خاتمة حياته من إكليلها . إذا لم يدخل الناس فى حسبانهم هذا العدوان عليه فقد سبق أن سطر عليه فى اللوح المحفوظ ذلك المصير . والأذى هو الغذاء المستمر لمواهب الرجل الحر ، والمعارضة هى فى الغالب رجع الصدى للرأى . فأى أذى واعتراض يجتمعان على الرجل إذا اجتمعت عنده الحرية والرأى ، وأى امتداد لذلك التناؤش من بعيد ومن قريب يحالفه عند مماته بعد خمسين عاماً فى معركة الحق . . فى مواجهة الناس ومجابهة الخليفة : وكلما لقى من أمره عسراً تدفق من قلبه الإشراق لا الاحتراق ، كأن الشدائد مولد عظيم للقوى فى كيانه ، أو كأنها السلاح الذى يشق الأرض لتفجر الماء أو ليزداد الثرى بتقليبه ثراء ! !

إنما يعيش هؤلاء البشر فى مستوى أعلى من البشر . يتلاقى عنده الإنسانى المخلق والربانى الذى يوحى به ، وفى هذه القمم الشواهق يستقبل الملهمون آيات السماء أول من يستقبل ، كأطراف السحاب فى السماء وذرى الجبال فى الأرض أسبق ما يتلقى شعاع الشمس وأول ما يتوهج فى الظلام المحيط .

إنهم لا يحسون ما نحسه عذاباً ، بل تتوتر أحاسيسهم إلى أقصى حدود التوتر إذا عالجوا الصعاب ، وتتبلد إلى حد العدم فى محيط العذاب ، فإذا رأوا الأذى وردوه ، واستروحوه ، فمنهم من يقضى نحبه ومنهم من ينتظر ، فلا تطيب نفسه إلا إذا أترعته كؤوس التضحيات ، وعندئذ يدرك أنه قد ارتوى من نخب الخلود :

إنها لنعمة من السماء على الأرض أن يعذب أهل الأرض قوماً كأنهم من أهل السماء . فهؤلاء الشهداء يعلمون الناس بالأسوة الحسنة أن الحياة ليست البلهنية ولا الرفاهة : ولكنها كفاح دائم للخير تواق للكمال .

* * *

سجل علماء الإسلام هذه الحقائق بحروف من نور : فقضى عليهم بارئهم أن يشقوا لينعم البشر — فكان خلقاً إسلامياً خالصاً : وقضى على الأئمة الأربعة أن يردوا المحنة تلو المحنة فى سبيل آرائهم ويسبقوا بإمامتهم الناس ليصححوا خطاياهم : سيق الشافعى من أقصى الجزيرة إلى أقصاها ، عاشر عشرة متهمين بالتشيع لقوا مصارعهم على عينه ونجا وحده . وجلد مالك من أجل أيمان البيعة أو من أجل جوابه عن السؤال عن البغاة : وذاق ابن حنبل بعض الموت فى خلق القرآن : أما أستاذهم أبو حنيفة فقد مات فى قضية القضايا : قضية الحرية ! أو قضية القضاء ! أو قضية تسخير العلماء فى خدمة الخلفاء ! فأظهر أن الزهد أو العلم ليسا غاية الحياة وإنما « العمل » هو الغاية فى الدنيا والوسيلة للآخرة . وكان المثل الحق لما يهدى إليه الوحى الذى أشاروا إليه من « أن الله سبحانه أوحى إلى نبى من أنبيائه أن قل لفلان الزاهد : أما زهدك فى الدنيا فقد تعجلت به الراحة ، وأما انقطاعك إلىّ فقد اكتسبت به العز ، ولكن ماذا عملت فيما لى عليك ؟ فقال : يا رب وأى شىء لك على ؟ قال : هل واليت فىّ ولياً أو عاديت فىّ عدواً » :

إنما تكون العبادة الحق بالجهاد للحق فى الخطوط الأولى للنار لا فى الرهبنة ولا فى الاعتزال : رووا عن الإمام أحمد وغيره أثراً : « أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى ملك من الملائكة ، أن اخسف بقرية كذا وكذا ، فقال يا رب كيف وفيهم فلان العابد ؟ قال : به فابدأ فإنه لم يتمعر وجهه فىّ قط ! »

بلى . بلى . فالعمل الصالح أزكى من مطلق العبادة ! هذا يحيى بن عمر يرجع من القيروان فى تونس إلى قرطبة فى الأندلس ليرد دانقاً كان عليه وهو يقول : رد دانق على أهله أفضل من عبادة سبعين سنة !

إنها ضريبة الرضا النفسانى يؤديها الزاهد أو العابد أو العالم يكد ويكدح ليترك آثاره فيمن يحيط به من العالمين :

وإذا كان أبو حنيفة قد جانب السياسة فى حياته لأن رسالته كانت أكبر من السياسة ، فقد جانبها وهو يختم هذه الحياة ، لأن العالم الحق لا يفتتن بما يفتتن به الناس ولا يلقى بذاته كرجال الدولة فيما هم فيه يعتركون : بل إن رجل الدولة ، ليقذف

بنفسه فى المهالك يهنيه أن يفور التنور وتغلى به القدور ، ليستخرج ما يشاء من معقبات ونتائج :

فإذا هاجم البطش المفكر فى عقر داره ، أو فدح الخطب وعمت البلوى أو هددت الحرية أو الفضيلة ، حق على رجل العلم أن يحمل تبعاته ويحمى حماه : إنه لم يعد العالم ولم يبق الفقيه وإنما غدا القدوة :

إن هؤلاء الفقهاء يحملون من التبعات ما لا يحمل الساسة ولا الزعماء ، لما يستيقنه الناس من أنهم ورثة الأنبياء ، فلا جرم إذا التمسوا النجاة عندهم والأمل فى روح الله لديهم :

لما والى الملك إسماعيل الإفرنج أيام الحرب الصليبية وسلم لهم صيداء وغيرها من الحصون لينجدوه على الملك نجم الدين أيوب أنكر عليه عز الدين بن عبد السلام هذه الفعلة ، فغضب عليه وعزله واعتقله : ثم بعث إليه يعده ويمنيه : فقال له الرسول : « تعاد إليك مناصبك وزيادة ، وما عليك إلا أن تنكسر للسلطان وتقبل يده » : فما كان جواب الشيخ إلا أن قال : « والله ما أرضاه أن يقبل يدى ، يا قوم أنتم فى واد وأنا فى واد : : » :

سبق أبو حنيفة فضرب الأمثال للعلماء كما سبقهم فى ميدان الاجتهاد ، فواجه النوازل فى الفكر بالفكر ، والنوازل فى العمل بالعمل :

اختارت له السماء مجد الخلد على مجد الساعة ، ورضاء الله على رضاء السلطان وآثر الآخرة على الأولى وسعى لها وهو مؤمن : واتخذ مكانه فى هذا الثبت الفردوسى الحافل بأسماء الصالحين والشهداء :

هنالك تتراءى لك الأعماق التى ينبع منها فكر هذا المجاهد الحر ، خلابة للبصر ، وتتجلى لك القمم العالية التى ارتفعت إليها هذه الحياة عندما ختمتها يده القدرة خاتمة أروع من الخيال ، ويتراءى لك فيما بين البداية والنهاية حياة هى العمل ، ورسالة هى الخلق والابتداع ، ليست فى تطبيقات كل يوم ، تلك التطبيقات الدارجة ، والفتاوى المفردة ، أو فى خدمة السلطان :

إنما كانت وظيفة أبى حنيفة وظيفة الشارع نفسه ، لا وظيفة الذى ينفذ الشرائع . والقضاء تنفيذ والتشريع خلق . والمشرع يضع النظام . والقاضى من حرسته وسدنته .

كانت وظيفة الإمام الأعظم تتصل بالقرآن وبالحديث وبالعقل لاستنباط الأصول والحلول ودفعها فى الغداة إلى القضاء والعلماء والحكام والخلفاء والناس كافة ، يتناولون بها جميعاً شئون الدنيا والدين ، ويقضى بها القضاة فى كل قضية ، وكل دولة ، وكل جيل ، وكل مكان .

كانت رسالته إنشاء المذاهب وإنشاء الرجال ، والتوثيق بين العلم والحضارة .

كان هو نفسه الانبعاث التاريخى الذى خلد به الفقه الإسلامى نفسه . فأين منه ، بل أين من بعض منه ، كراسى القضاء . على ما فى وظيفة القضاء من إشراق وكرامة وعبادة .

لقد ساهم التاريخ فى توكيد تلك الحقائق . فلم يل وظيفة القضاء فى خدمة الخلفاء واحد من الأئمة الأربعة الذى تقاسم مذاهبهم جمهور المسلمين .

تلك مكانة حصل الحديث فيها ابن وهب حيث قال : « إن العلماء يحشرون مع الأنبياء وإن القضاة يحشرون مع السلاطين » .

أجل وكما قال أبو حنيفة : « إن لم يكن أولياء الله تعالى فى الدنيا والآخرة العلماء فليس لله ولى » .

وإذا كان ذلك شأن العلماء فكيف بأئمة العلماء ، بل كيف بأحق رجل فى الإسلام بما قيل عن أرسطو « معلم العلماء » .

فأين . أين . . أين الأمراء من الأنبياء . وأين رجال القضاء من الفقهاء !

أين أبو حنيفة قاضى القضاة . أو قاضى الكوفة ، أو بغداد أو الرصافة ، لو قدر وكان ، من الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان ؟

لقد دالت دولة بنى العباس ، ولم يذهب مذهب أبى حنيفة : ونسى الناس أبا جعفر وأولاده وحفدته . لكن اسم أبى حنيفة ما يزال يذكر كلما صلى الناس أو صاموا بل كلما واجهوا أمراً من أمور الشرع فى شأن من شئون الدنيا أو الدين :

* * *

أحس أبو حنيفة بالموت فسجد فصعدت روحه وهو ساجد فى رجب سنة ١٥٠ : كأنما كان يسابق ملك الموت إلى لقاء الله فى الصلاة :

جاءته الدعوة إلى لقاء الله وهو بين يدى الله يصلى، وبين يدى التاريخ وهو سجين ، وبين يدى الفكر الإنسانى وهو يتلقى العذاب من جرائه !

وأخرج من مكان حبسه فحمله خمسة أنفس فأتوا به إلى مكان غسله فغسله الحسن بن عمارة قاضى بغداد ، وكان من أصحاب الحديث وزهادهم : فلما فرغ من غسله قال : « رحمك الله لم تفطر منذ ثلاثين سنة ولم تتوسد يمينك بالليل منذ أربعين سنة : كنت أفقههنا وأعبدنا وأجمعنا لخصال الخير وقبرت إذ قبرت إلى خير وسنة وأتعبت من بعدك » :

وما فرغوا من غسله إلا وقد اجتمع من أهل بغداد خلق كثير لا يحصيهم إلا الله تعالى ، حتى خرج من باب خراسان ، كأنما نودى لهم بموته ، فاجتمعوا وحرز من صلى عليه فقيل بلغوا خمسين ألفاً ، وقيل أكثر ، وأعيدت الصلاة عليه ست مرات : وقيل إن المنصور جاء وصلى على قبره ، ولم يمكن دفنه إلا بعد العصر لكثرة الزحام :

ومكث الناس يصلون على قبره أكثر من عشرين يوماً. ولما بلغت المنصور وصيته بأن يدفن بالخيزران لأنها أرض طيبة غير مغصوبة قال : « من يعذرنى فيك حيّاً وميتاً : : ! » :

وقال الحسن بن عمارة على القبر : « كنت لنا خلفاً ممن مضى : وما تركت بعدك خلفاً : إن خلفوك فى العلم الذى علمتهم لم يمكنهم أن يخلفوك فى الورع إلا بتوفيق » :

وأتى نبأ موته مكة ، فرثته البلدة المباركة على لسان فقيهها ابن جريج ، فاسترجع وتوجع ثم قال : « أى علم ذهب ! »

ولما وقف تلميذه عبد الله بن المبارك على قبره ، قال : « رحمك الله : مات إبراهيم النخعى وحماد بن أبى سليمان وخلفا خلفاً ، ومت أنت ولم تترك على وجه الأرض خلفاً » وبكى بكاء شديداً .

وفى منتصف القرن الخامس للهجرة (سنة ٤٥٩) بنى شرف الملوك أبو سعد محمد بن المنصور الخوارزمى (مستوفى مملكة عضد الدولة البارسلان محمد وابنه السلطان عضد الدولة ملك شاه السلجوقى) على قبر الإمام مشهداً وقبة وبنى عنده مدرسة كبيرة للحنفية ، وبقى قبره مزاراً للناس فى طريقهم للحج وعودهم منه ودفن إلى جواره جماعة من نخبة العلماء ، منهم الدامغانى شيخ العراقين وقاضى بغداد .

ولما دخل الشافعى بغداد قصد إلى مقابر الخيزران وصلى على قبر الإمام الأعظم ركعتين ولم يرفع يديه — فسئل لماذا خرج عن قواعده ؟ فقال رضى الله عنه : « أدباً من هذا الإمام أن أظهر خلافه بحضرته » .

وكان يجىء إلى قبره كل يوم ويقول : إنى لأتبرك بأبى حنيفة :

• • •

بلى ، وأية بركة أصابت الشافعى وأصابها الإسلام . أما الشافعى فقد تلقى فقه أبى حنيفة مبوباً مؤصلا مقعداً ، كما يتلقى الجوهرى الصناع كنزاً من اللآلئ والأعلاق . وأما الإسلام فهو يذكر لأبى حنيفة ما لا يذكره إلا لمن جاء بعد النبى عليه الصلاة والسلام من صفوة الطبقة الأولى من صحبة المخلصين .

فالفقه الإسلامى فى المعاملات أو العبادات أغلى كنوز الحضارة الإسلامية مكانة وأبعدها أثراً فى الأمة جيلا بعد جيل لاتصاله بالقرآن والحديث فى منابعه الأولى . ولئن كان للغة العربية وآدابها — وهى لغة القرآن — ذلك الشأن الجليل الذى تفاخر به كل اللغات ، فإن للفقه منها مكان الصدارة .

هو الذى مكن للحضارة الإسلامية فى بقاع الهند والصين وتركيا وروسيا وأفريقيا وأوربا وآسيا . وحيث لم تصمد اللغة العربية صمد الفقه الإسلامى ، وسيطرت مبادئه فى نظام الأسرة والملكية والحرية فى الرأى والعقيدة والأصول العامة للشريعة .

ولئن غزا الإسلام هذه الأمم بالسلاح ، إنه استقر فيها بالشريعة :

لقد غلب السلاجقة المسلمين فى القرن الحادى عشر الميلادى ولكنهم أسلموا : وغلب المغول المسلمين فى القرن الثالث عشر ولكنهم أسلموا أيضاً :

إن الإسلام ينتصر وإن هزم المسلمون !

وحيث وجد الإسلام وجد الفقه الإسلامى ووجد الفقهاء العالميون فى غير جزيرة العرب ممن سجلوه وخلدوه : يتسابقون فى حلباته ذلك السباق المرامى فى حدود الوجود الزمانى والمكانى ، حتى إذا أقفل باب الاجتهاد فى عصور التقليد لم يسكت لهم صوت ولم تهدأ لهم حركة ولم يبرح إنتاجهم يثير الإعجاب :

ولو عجز الفقه الإسلامى عن أن يستجيب لحاجات الأمة فى هذه الأقطار المترامية لخيف أن تعمد إلى اطراحه لتعيش : وإذن لبخعت الحضارة الإسلامية نفسها فى كل مكان :

فأى فضل على الأمة يلقى به ربه ويلقى به التاريخ رجل مكن للفقه الإسلامى أن يكون عصرياً فى كل عصر : وإقليمياً فى كل إقليم ، فمكن للدين نفسه ووطد أركانه :

لا عجب أن قال بعضهم : إن النبى قد بشر به : فهو إن صح أو لم يصح ضرب من ضروب التمجيد وهو جدير بالتمجيد ،جدير بتفسير المفسرين لحديث « لو كان العلم عند الثريا لتناوله رجال من أبناء فارس » وغيره ، تفسيراً ينظمه فى سلك المأمولين للإصلاح : وجدير بما قال بعض أئمة الزهد : « يجب على أهل الإسلام أن يدعوا لأبى حنيفة فى صلاتهم لحفظه عليهم السنة والفقه » :

لقد كان صاحب الشريعة عليه الصلاة والسلام ينظر بنور الله يوم قال

للمسلمين : « اقتدوا بالذين من بعدى أبى بكر وعمر واهتدوا بهدى عمار وتمسكوا بعهد ابن أم عبد » وكان عمر مؤمناً ممن عناهم النبى بقوله : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » .

فلقد جعل النبى عماراً وابن أم عبد (ابن مسعود) ركنين من أركان الأمة كأبى بكر وعمر .

وإذا كان أبو بكر قضى على الردة ، وكان عمر أنشأ الإمبراطورية الإسلامية ، فإن رسوليه إلى العراق — عماراً وابن أم عبد — قد أديا رسالتهما نعم الأداء ، كأنما بصر الرسول والفاروق ورسولا الفاروق من خلال السنين بما سيؤديه هذا الإقليم العظيم للعالم الإسلامى فيحفظ له أمانة الفقه ويشيع فى أرجائه الأسلوب الجديد ويحمى الشريعة الإسلامية من أن تصيبها آفة القصور عن مطالب العصور .

ولئن كان خالد بن الوليد قد حمى الإسلام من الردة عند الصيحة الأولى على هدى من أبى بكر ، إن أبا حنيفة قد حمى الشريعة عند الصيحة الأولى إذ نادت بذلك الحوادث وهو على هدى من عمر وعهد من ابن مسعود .

ولقد نظر ابن مسعود بنور الله يوم ضرب الأمثال فى الاجتهاد عند أساطين مسجد الكوفة ليئول مجلسه بعد قرن كامل إلى أبى حنيفة الذى نهج نهجه وورث عهده ، ذلك العهد الذى أوصى به الرسول .

نفحات من السماء جاءت بأبى حنيفة فى أوانه ، كما جاءت بابن الوليد فى إبانه ، لتؤكد لنا أنه سبحانه وتعالى صدق وعده ووفى عهده

فى سنة ١٥٠ مات أبو حنيفة وولد الشافعى ، كأن السماء لم تشأ أن تحرم الأرض ذلك الإمام إلا إذا حبتها هذا الإمام .

كان نابليون يقول عن نفسه : « كل شىء ينتهى على بعد ستة أقدام تحت الثرى». ولئن صدق هذا القول على رجال السياسة أو رجال الدنيا ، إنه لا يصدق على المفكرين : فأولئك يبدأ كل شىء بالنسبة لهم عند ذلك . إنهم يذرون أجسادهم

تحت الثرى ويبعثون أفكارهم إلى الأفلاك ، وأسماءهم إلى الأزل ، لتصير حديثاً فى فم التاريخ وطنيناً فى سمع الزمن . أو كما قال هيجو : أيها العظماء : هل تريدون المجد ؟ . . موتوا !

استقبل أبو حنيفة وهو سجين فى السبعين من عمره ، حياة الخلود كما استقبلها سقراط من قبله بعشرة قرون ، فى السبعين من عمره ، محكوماً عليه بالإعدام ، فنظر إلى قضاته وقال : « . . سيذهب كل منا فى طريقه ، أنا فى طريقى لأموت ، وأنتم فى طريقكم لتعيشوا ، والله يعلم أى الفريقين أهدى سبيلا » :

المراجع

١ — مناقب الإمام الأعظم : الموفق بن أحمد المكى

٢ — مناقب الإمام الأعظم : ابن البزاز الكردى

٣ — عقود الجمان فى مناقب : الحافظ محمد بن يوسف بن على بن
الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان : يوسف الدمشقى الصالحى

مخطوط بدار الكتب المصرية تحت ن ١٠٧

٤ — الخيرات الحسان فى مناقب
أبى حنيفة النعمان : ابن حجر

٥ — الانتقاء فى فضائل الأئمة الثلاثة : للحافظ أبى عمر يوسف بن عبد البر
الفقهاء

٦ — تاريخ بغداد : أبو بكر الخطيب

٧ — الرد على أبى بكر الخطيب : الملك أبى المظفر عيسى بن عبد الملك
العادل سيف الدين أبى بكر بن
أيوب

٨ — تأنيب الخطيب على ما ساقه :
فى أبى حنيفة من الأكاذيب : محمد زاهد بن الحسن الكوثرى

٩ — إحقاق الحق بأبطال الباطل
فى مغيث الخلق وأقوم
المسالك فى بحث رواية مالك
عن أبى حنيفة ورواية أبى حنيفة
عن مالك : محمد زاهد بن الحسن الكوثرى

١٠ ــ حياة الإمام أبى حنيفة : الأستاذ سيد عفيفى

١١ ــ الفكر السامى فى تاريخ الفقه الإسلامى : الحجوى

١٢ ــ وفيات الأعيان : ابن خلكان

١٣ ــ الفوائد البهية فى تراجم الحنفية : اللكنوى

١٤ ــ طبقات الفقهاء : أبو إسحق الشيرازى

١٥ ــ طبقات الشافعية الكبرى : السبكى

١٦ ــ الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب : ابن فرحون ــ المالكى

١٧ ــ نظرة تاريخية فى حدوث المذاهب الأربعة : أحمد تيمور باشا

١٨ ــ فجر الإسلام : أحمد أمين بك

١٩ ــ ضحى الإسلام : أحمد أمين بك

٢٠ ــ تاريخ التشريع الإسلامى : الخضرى بك

٢١ ــ تاريخ التشريع الإسلامى : الأساتذة عبد اللطيف السبكى ومحمد على السايس ومحمد يوسف البربرى

٢٢ ــ تاريخ الفقه الإسلامى : دكتور على حسن عبد القادر

٢٣ ــ الموافقات فى أصول الشريعة : الشاطبى

٢٤ ــ أعلام الموقعين : ابن القيم

٢٥ — مجموعة رسائل « فقه حنفى »
مخطوط ن ٧٣٢ دار الكتب
المصرية : مفتى زاده

٢٦ — مجموعة رسائل « فقه حنفى »
مخطوط ن ٣٢٨ دار الكتب
المصرية : عبد الغنى النابلسى

٢٧ — رفع الملام عن الأئمة الثلاثة
الأعلام (دار الكتب المصرية) ابن تيمية

٢٨ — رسالة فى مدى استعمال
حقوق الزوجية : دكتور السعيد مصطفى السعيد

٢٩ — علم أصول الفقه : الأستاذ عبد الوهاب خلاف

٣٠ — الإسلام وأصول الحكم : الأستاذ على عبد الرازق

٣١ — السياسة الشرعية : الأستاذ عبد الوهاب خلاف

٣٢ — السياسة الشرعية : الأستاذ محمد البنا

٣٣ — الفقه على المذاهب الأربعة :
طبعة وزارة الأوقاف : الشيخ عبد الرحمن الجزيرى

٣٤ — رد المحتار على الدر المختار : ابن عابدين

٣٥ — المجموع شرح المهذب : محيى الدين بن شرف النووى

٣٦ — مجلة القانون والاقتصاد
السنة الأولى : الأستاذ أحمد بك إبراهيم

٣٧ — مجلة القانون والاقتصاد
السنة الثانية : دكتور محمد كامل الغمراوى

٣٨ — مجلة القانون والاقتصـــاد
السنة الخامسة : الأستاذ محمد أحمد أبو زهـــرة

٣٩ — مجلة القـــانون والاقتصـــاد
السنة السادسة : الأستاذ عبد الوهاب خلاف

٤٠ — مجلة القـــانون والاقتصـــاد
السنة السابعة : الأستاذ عبد الوهاب خـــلاف

٤١ — The moslem Creed. Wensinck. Cambridge 1932

٤٢ — Le Dogme de l'Islam. Goldziher — Paris 1920

٤٣ — شرح الأحـــكام الشرعية : محمد زيد الأبيانى بك

٤٤ — الخراج : أبو يوسف

٤٥ — الفهرست : ابن النديم

٤٦ — تاريخ الطبرى : الطبرى

٤٧ — تاريخ الدولة العباسية : محمد الخضرى بك

٤٨ — تاريخ الإسلام : حسن إبراهيم حسن

٤٩ — الطبقات الكبرى : ابن سعد

٥٠ — فلاسفة الإسلام فى المشرق
والمغرب : محمد لطفى جمعة

٥١ — الإمامة والسياسة : ابن قتيبة

٥٢ — الكتاب والوزراء : الجهشيارى

٥٣ — العقد الفريد : لابن عبد ربه

٥٤ — دائرة المعارف الإسلامية

٥٥ — دائرة معارف البستانى

٥٦ — الأمالى : أبو على القالى

٥٧ — المقدمة : ابن خلدون

٥٨ — Islamic Civilisation Khuda bukch, University of Calcutta 1929

٥٩ — الحيوان : الجاحظ

٦٠ — مناقب الإمام الشافعى : محمد بن عمر الرازى

٦١ — القضاء فى الإسلام : ابن عرنوس